﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾ [الأعراف: 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بينَ تفاخُرِ إبليسَ بالغوايةِ، ومصيرِهِ مذمومًا مدحورًا في النَّار

لمَّا قيل: فماذا قال اللّهُ لإبليس بعد أن وَعَدَ اللَّعينُ بالإفساد الَّذي ذَكَره؟ قيل: خاطبَه اللّهُ تعالى، فـ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾ الآيةَ[1]، ومُفَادُ ذلك أن: "زادَه اللّهُ نكايةً، وقال له: اخرج من دارِ كرامتي، مذمومًا بكِبرك وعصيانك، وهالكًا في نهايتك، وأُقْسِمُ أنَّ مَن اتَّبعك مِن بني آدم؛ لأملأنَّ جهنَّم منك ومنهم أجمعين"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَذۡءُومٗا﴾: اسم مفعولٍ مِن ذَأَمَه؛ إذا حقَّره وعابَه وذمَّه، والذَّأمُ: أبلغُ الذَّمِّ، ومعنى ﴿مَذۡءُومٗا﴾: مذمومًا محقَّرًا معيبًا، بأبلغِ الذَّمِّ والتَّحقيرِ والعيبِ[3]، "عن ابنِ السِّكِّيت قال: ذَأَمْتُه وذأبْتُه؛ إذا طَرَدْتُه وحَقَرتُه، قال: وسمعتُ أبا العبَّاس يقول: ذَأَمْتُه: عِبْتُه، وهو أكثر مِن (ذَمَمتُه)"[4].

2) ﴿مَّدۡحُورٗاۖ﴾: الدَّحْرُ: هو الدَّفعُ بعنفٍ على سبيل الإهانةِ والإذلال؛ كراهةً فيه، ونُفورًا منه، و﴿مَّدۡحُورٗاۖ﴾: بمعنى: مَطرودًا مُبعدًا على سبيل الإذلالِ والنُّفورِ منه[5]، وقال الطَّبريُّ: "وأمَّا

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/216، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/370.
(2) لجنة مِن علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 206.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ (ذأم)، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 166، وابن الهائم، التّبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 164.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ذأب).
(5) يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام: 1/136.

المَدْحور: فهو المُقْصَى، يقال: "دَحَرهُ، يَدحَرُه، دَحْرًا، ودُحُورًا"؛ إذا أقصاه وأخرجَه، ومنه قولهم: "ادحَرْ عنكَ الشَّيطانَ"[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الطَّردُ مِنَ الجنَّة منتهى الإذلالِ والهوانِ

قال اللَّهُ تعالى لإبليسَ على سبيلِ الزَّجرِ والإهانةِ: اخرج مِنَ الجنَّة ممقوتًا مَطرودًا، لأملأَنَّ جهنَّمَ منكَ وممَّن تبعكَ، مِن بني آدمَ أجمعين[2]؛ وذلك جزاءُ ما أعلنتَه مِن تأبٍّ مَقيتٍ على أوامري، وتكبُّرٍ مُنكرٍ على آدمَ، حينما أَمَرتُكَ بالسُّجودِ له، فَرَفضتَ ذلك، وأَصررْتَ عليه.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الاستئنافِ في الآيةِ الكريمة:

الاستئنافُ جوابٌ للقولِ قبلَه، وإيضاحٌ للدَّلالة ضِمْنَه

جاء الكلامُ في قوله: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾ على طريقِ الاستئنافِ[3]، كأنَّه قد قيل: فما قال اللَّهُ تعالى لإبليس حين قال: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، إلى آخر الآية، فكانَ الجوابُ: قال الله له: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾.

دلالةُ عودِ الضَّميرِ في قوله تعالى: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾:

جُمِعَ لإبليسَ الخروجُ مِنَ الجَنَّة، ودوامُ القضاءِ عليهِ باللَّعنة

الضَّميرُ في قوله: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ عائدٌ على الجنَّة، ممَّا هو معلومٌ مِنَ السِّياق[4]، ويَحْتَمِلُ وجهين: أحدهما: مِن حيثُ كان مِن جنَّةٍ أو سماءٍ. والثَّاني: مِنَ الطَّاعة، على وجه التَّهديد[5]. وقال أبو حيَّان: "الجمهور على أنَّ الضَّمير عائدٌ على الجنَّة، والخِلافُ فيه كالخِلافِ في ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾"[6].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/343، وأبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/212.
(2) نخبة مِنَ الأساتذة، التّفسير الميسّر، ص: 152.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/219.
(4) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 2/381.
(5) الماورديّ، النّكت والعيون: 2/208.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/23.

دلالةُ مجيءِ الخروجِ مُقيَّدًا بالحالِ:

مَن يتَّبعُ إبليسَ فحالُه في الصَّغارِ والطَّردِ مِنَ الرَّحمةِ كَحَاله

ورد الأمرُ بالخروجِ مِنَ الجنَّة في قوله: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾، مؤكِّدًا للأمر السَّابق، وجاءَ مُقيَّدًا بالحالين: ﴿مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾، أي: بالذَّمِّ والطَّرْدِ؛ ليفيدَ أنَّ خروجه مِنَ الجنَّة قد اقترنَ بحالِ كَونِه مذؤومًا مدحورًا[1]؛ ولمناسبته لأن يكونَ تمهيدًا لِمَا بعدَه، والمعنى: لمَّا كان إبليس مذمومًا أشدَّ الذَّمِّ ومطرودًا، دلَّ على أنَّ اتِّباعَه مذمومٌ كذلك، وأنَّ حالَ مَن يتَّبعُه كَحَالِه في الذَّمِّ والطَّرد.

نكتةُ ورودِ الحالين مِن غير قيدٍ:

إبليسُ ممقوتٌ بإطلاقٍ، مُبْعَدٌ مِن كلِّ خيرٍ

وردَ الحالانِ في قوله: ﴿مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾، من غير قيدٍ، فلم يقل: (مذؤومًا مِنَ اللّه، أو مِنَ الملائكة) مثلًا، وكذلك لم يقل: (مدحورًا مِنَ الجنَّة، أو مدحورًا مِن رحمتي) مثلًا؛ ليُشعرَ الإطلاقُ بعمومِ المعنى، أي: اخرج منها ممقوتًا معيبًا، ومُبعدًا مِن كلِّ خيرٍ[2].

علَّة إيثارِ لفظ ﴿مَذۡءُومٗا﴾ في هذا الموضع:

الذَّأمُ أشدُّ الذَّمِّ وأبلغُه، والوصفُ به تشنيعٌ وتبشيعٌ

لم يرد هذا اللَّفظ في القرآن الكريم إلَّا في هذا الموضع، وإنَّما اختُصَّ هذا الموضع بهذا اللَّفظِ؛ لأنَّ اللَّعين لمَّا بالغ في العزم على الإغواء، فقال: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ﴾ إلى آخره، بالغ اللّه ﷻ في ذمِّه؛ إذِ الذَّأمُ أشدُّ الذمِّ[3].

دلالةُ اللَّامِ في قولِه تعالى: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾:

تأكيدُ القسمِ وجوابِه للمبالغةِ في تقريرِ المعنى

اللَّامُ هي الموطِّئة للقسم، وتفيدُ المبالغةَ والتَّوكيدَ، لِمَا تدخلُ عليه مِنَ القسَم وجوابِه، ولمَّا دخلت على الشَّرط في قوله: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾؛ دلَّ على تأكيد الشَّرطِ وجوابِه كذلك[4].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 5/23.
(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/183.
(3) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/217.
(4) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/325.

نكتةُ الالتفاتِ في لفظ ﴿مِنْهُمْ﴾ في قولِهِ ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾:

الانتقالُ مِنَ الخطابِ إلى الغيبةِ؛ لدفعِ اللَّبسِ في المعنى، وللتَّنبيهِ لأمرٍ عظيم

يعودُ الضَّميرُ في قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ على ولدِ آدمَ؛ لأنَّه حين قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: 11]، كان مُخاطِبًا لولدِ آدمَ، فرجعَ إليهم، فقال: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾، فجعلَهم غائبين، على طريقِ الالتفاتِ؛ لأنَّ مخاطبتَهم في هذا الموضعِ تُوقِع لَبْسًا وضعفًا في الكلامِ، كما أنَّ مِن عادةِ العربِ أنْ ترجعَ مِنَ الخطابِ إلى الغيبةِ، ومِنَ الغيبةِ إلى الخطابِ، وأيضًا في الالتفاتِ تطريةٌ للسَّامع، واستدرارٌ لإصغائه، وفيه تنبيهٌ لأمرٍ عظيم[1].

دلالةُ حرفِ الجرِّ في ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

رحمةُ اللهِ بالمؤمنينَ؛ إذ قال: (منكم) ولم يقل: (بكم)

لمَّا كان الحرف (مِنْ) يدلُّ على التَّبعيض، أفاد أنَّ مَلْءَ جهنَّم يكون من بعضِهم، وإلَّا قيل: لأملأنَّ جهنَّم بكم، ولكان كلُّ مَن اتَّبعَ إبليسَ، ولو قليلًا، يدخل في الحُكم المذكور، وذلك أنَّ بعضَ مَنْ يتَّبِعُه مِنَ المؤمنين الموحِّدين في بعض المعاصي، يَغفرُ اللهُ لهم، ويعفو عنهم[2].

جملة ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ بين جوابِ القسمِ وجوابِ الشَّرطِ:

تأكيدُ وعدِ الله بملءِ جهنَّمَ مِن أتباعِ إبليسَ أجمعين

لمَّا كان القَسَمُ يقتضي جوابًا، وكان الشَّرطُ يقتضي جوابًا كذلك، كان قولُه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ بمنزلةِ جواب القسم وجوابِ الشَّرط في الوقت نفسِه؛ تعظيمًا للجوابِ، وتفخيمًا له، وتقريرًا لتحقيقه، ولمَّا كان القسم متقدِّمًا على الشَّرط في الكلام، وهو أعلى رُتبةً مِنَ الشَّرط؛ لتعظيم المُقْسَم به، ولتفخيم المُقْسَم عليه، ولأنَّه أدعى إلى التَّحَقُّق مِنَ الشَّرط، وكان قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جوابًا للقسم، سادًّا مَسَدَّ جوابِ الشَّرط، أو يُقال: اللَّامُ وقعت جوابًا للقَسَم، وسَدَّت مَسدَّ جوابِ الشَّرط، والمعنى: أُقسم مَن تبعكَ منهم؛ لأملأنَّ جهنَّم منهم ومنك أجمعين[3].

---

(1) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/107.

(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 8/301.

(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/8، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/51.

نكتةُ التَّعبيرِ بقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾:

أفاد التَّعبيرُ بالفعلِ المضارعِ: أنَّ الامتلاءَ يكونُ حالًا فحالًا، للإشعارِ بجمع كلِّ مَن يتَّبع إبليسَ في جهنَّم، كما يُشْعِر اللَّفظُ بضيقِ الفُسْحةِ عليهم في جهنَّمَ؛ ليكونَ العذابُ عليهم أشدَّ وأقسى.

تصويرُ امتلاءِ جهنَّمَ بأتباعِ إبليسَ امتلاءً مستمرًا ومُرهِقًا

دلالةُ قولِهِ: (من) بين الشَّرطيَّةِ والموصوليَّة:

في قوله تعالى: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾: يَحتمِل (مَن) أن يكون اسمَ شرطٍ مفيدًا العمومَ، وهو الظَّاهر عند جمهور المفسِّرين؛ لتكونَ جملةُ الشَّرطِ ﴿تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾، بمنزلةِ السَّبب لقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وليدلَّ الشَّرطُ وجَوابُه على تحقُّق الوعيدِ باتِّباع إبليس؛ لاقترانِ تَحقُّقِ الجزاءِ بتحقُّق الشَّرط. كما يَحْتمِل أنْ يكون اسمًا موصولًا مُفيدًا العمومَ كذلك، وتكون صلةُ الموصول: ﴿تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ لبيان وجهِ بناءِ الخبرِ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ على الاسم الموصول، والمعنى: لأَملأنَّ جهنَّم منكم؛ بسبب اتِّباعهم لكَ، والمعنى على الوجهين متقارب[1].

تحقُّقُ الوعيدِ باتِّباعِ إبليسَ البئيسِ

بلاغةُ التَّغليبِ في قوله: ﴿مِنكُمْ﴾:

جاء الخطابُ في قولِه: ﴿مِنكُمْ﴾ على تغليبِ ضميرِ المخاطب[2]، فأدخلهُ في الوعيد معهم، بحكم الكاف في ﴿مِنكُمْ﴾، وغُلِّبَ في الضَّميرِ حال الخطاب، وإن كانَ قليلًا على الغائبين، وإن كان كثيرًا؛ لأنَّ الفردَ الموجودَ من هذا العموم هو المخاطَبُ، وهو إبليسُ، ولأنَّه المقصودُ ابتداءً من هذا الوعيدِ؛ لأنَّه وعيدٌ على فعله، وأمَّا وعيدُ أتباعه فبالتَّبعِ له، كما أشعرَ الخطابُ أنَّ أتباعَ إبليسَ صاروا معه طائفةً واحدةً، فلم يقع العطفُ، فيقول: (منك ومنهم)؛ لئلَّا تقع

إبليسُ وأتباعُه طائفةٌ واحِدَةٌ، وكلُّهم عصاةٌ بغاةٌ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/94، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/8، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/24، والسّمين الحلبيّ، الدّرُّ المصون: 5/273.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/94.

المغايرة أيضًا، والمعنى: لأملأنَّ جهنمَّ منكَ ومِن ذُرِّيَّتكَ، ومِن كُفَّارِ ذُرِّيَّةِ آدَمَ أجمعين[1].

دلالةُ قوله تعالى: ﴿أَجْمَعِينَ﴾:

مجيءُ التَّأكيدِ للتَّنصيصِ على العمومِ؛ ولدفعِ إرادةِ المجازِ

﴿أَجْمَعِينَ﴾ في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ توكيدٌ للضَّمير في ﴿مِنكُمْ﴾، والفائدة: التَّنصيصُ على العُموم؛ لئلَّا يُحمَل على المجاز، فيُظَنَّ أنَّ المرادَ: لأملأنَّ جهنَّم مِن أكثركم، أو مِن أغلبِكم، وذلك أنَّ الكلامَ جرى على أُمَّةٍ بعنوان كونِهم أتباعًا لواحدٍ، والعربُ قد تُجْري العُمومَ في مثلِ هذا على المجموعِ دون الجمعِ، كما يقولون: قتلتْ تميمٌ فلانًا، وإنَّما قتلَه بعضُهم، كما يُشْعِرُ اللَّفظُ بالتَّنكيلِ بإبليسَ وأتباعِه؛ لحسمِ الأمرِ في كونِهم في جهنَّم[2].

(1) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/184، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/51.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 5/275، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/52.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»